

وصول سبايا الإمام الحسين(ع) إلى الشام

<"xml encoding="UTF-8?>



دخلت قافلة السبايا مدينة دمشق في الأول من شهر صفر عام (٦١ هـ) ، وكان يزيد قد أمر بتزيين المدينة ، وأمر كذلك بتسبيير الراقصات في الشوارع وهنّ يرقصن على أنغام الطبول ، ابتهاجاً بقتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فجيء برؤوس الشهداء يتقدّمها رأس الحسين (عليه السلام) إلى بلاط يزيد ، فأدخلت عليه ، وكان بيده قضيب ، فأخذ يضرب به فم الإمام الحسين (عليه السلام) ، ويردد الأبيات الآتية :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهَدُوا	جَزَعَ الْخَرْجَ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلَنْ
لَا هُلُوْلٌ وَاسْتَهْلُوكُ فَرَحًا	ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدَ لَا تُشَلْ
لَعِبَتْ هَاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا	حَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلْ
لَسْتُ مِنْ خَنْدِفٍ إِنْ لَمْ	أَنْتَقِمْ مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ

وقد رافق وصول سبايا آل البيت (عليهم السلام) إلى دمشق أيضاً حملة إعلامية مضلّلة ، تقول : إن أولئك السبايا خرجوا على الخليفة الشرعي يزيد ، فقتلّهم ، وجيء بنسائهم وأطفالهم ، وأشعروا ذلك بين الناس ، وأمروهם بإظهار الزينة والفرح .

وفي مجلس يزيد ، أوقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع السبايا بين يدي يزيد .

فقال له يزيد : أراد أبوك وجذك أن يكونا أميرين ، فالحمد لله الذي أذلّهما ، وسفّوك دماءهما .

فقال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : (يَا ابْنَ مُعاوِيَةَ وَهَنْدَ وَصَخْرَ، لَمْ يَزِلْ آبَائِي وَأَجْدَادِي فِيهِمُ الْإِمْرَةُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدْ .

ولقد كان جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم بدر واحد والأحزاب في يده راية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأبوك وجذك في أيديهما رايات الكفار .

وإليك يا يزيد ، إنك لو تدري ما صنعت ، وما الذي ارتكبت من أبي ، وأهل بيتي ، وأخي ، وعمومتي ، إذا لهربيت في الجبال ، وفرشت الرماد ، فأبىشر بالخزي والندامة غداً ، إذا جمع الثّاس ليوم لا ريب فيه) .

ثم قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) ليزيد : (أتأذن لي أن أرقى هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله تعالى رضي ، ولهؤلاء أجر وثواب) .

فأبى يزيد ، وألح الناس عليه ، فما زالوا به حتى أذن له .

فقال الإمام زين العابدين (عليهما السلام) : (الحمد لله الذي لا بِدَائِيَةَ لَه ..) .

إلى أن قال الإمام (عليه السلام) : (أُعْطِيَنَا سِتّاً ، وَفُضْلَنَا بِسَبْعٍ ، أُعْطِيَنَا الْعِلْمَ ، وَالْحِلْمَ ، وَالسَّمَاحَةَ ، وَالْفَصَاحَةَ ، وَالشَّجَاعَةَ ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .

وفضلنا : بأنَّ مِنَ النَّبِيِّ ، وَالصَّدِيقِ ، وَالطَّيَّارِ ، وَأَسْدَ اللَّهِ ، وَأَسْدُ رَسُولِهِ ، وَسَبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي أَنْبَأَتِهِ بِحَسَبِي وَنَسَبِي .

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا بَنُو مَكَّةَ وَمِنِّي ، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفَا ، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكْنَ بِأَطْرَافِ الرِّدَادِ ، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ اتَّرَرَ وَازْتَدَى ، وَخَيْرٍ مَنْ طَافَ وَسَعَى ، وَحَجَّ وَلَبَّى .

أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ عَلَى الْبُرَاقِ ، وَبَلَغَ بِهِ جِبْرِيلَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى ، فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ كَقَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

أَنَا ابْنُ مَنْ صَلَّى بِمِلَائِكَةِ السَّمَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى ، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدِي رَسُولِ اللَّهِ بِيَدِرِ وَخُنْنِينَ ، وَلَمْ يَكُفِرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، أَنَا ابْنُ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَارِثُ النَّبِيِّينَ ، وَيَعْسُوبِ الْمُصْلِلِينَ ، وَنُورِ الْمُجَاهِدِينَ ، وَقَاتِلِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ ، وَمُفْرِقِ الْأَحْزَابِ ، أَرْبَطُهُمْ جَائِشًا ، وَأَمْضَاهُمْ عَزِيمَةً ، ذَاكَ أَبُو السَّبَطَيْنِ الْخَسَنِ وَالْخُسَينِ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

أَنَا ابْنُ فَاطِمَةَ الرَّزَّهَرَاءِ ، وَسَيِّدَةِ النِّسَاءِ ، وَابْنُ حَدِيجَةِ الْكَبْرِيِّ .

أَنَا ابْنُ الْمُرْمَلِ بِالدَّمَاءِ ، أَنَا ابْنُ ذَبِيْحَ كَرْبَلَاءِ ، أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَى عَلَيْهِ الْجِنْ في الظَّلَّمَاءِ ، وَنَاخَثُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ) .

فلما بلغ الإمام (عليه السلام) إلى هذا الموضع ، صَرَحَ النَّاسُ بِالبكاءِ ، وَخَشِيَّ يَزِيدُ الْفِتْنَةَ ، فَأَمَرَ الْمُؤْذِنَ أَنْ يُؤَذِّنَ للصلوة ، فَأَذَنَ .

أما زينب (عليها السلام) ، فقد روى المؤرخون أنها ألقى خطبة طويلة في البلاء ، أَخْرَتْ فِيهَا يَزِيدَ وَالنَّاسَ الْأَمْوَالَ ، وقد جاء فيها : (أَظَنَّتِي يَزِيدُ أَنَّكَ أَخْذَتِي عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَآفَاقَ السَّمَاءِ ، فَأَصْبَحْنَا نُسَاقًا كَمَا نُسَاقُ الْأَسَارِيِّ ، فَشَمَخْتُ بِأَنْفَكَ ، وَنَظَرْتُ فِي عَطْفَكَ ، جَذَلَنَ مَسْرُورًا ، أَمِنَ الْعَدْلَ - يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ - تَخْدِيرَكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَاءَكَ ، وَسُوقَكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا .

وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا ، وَبِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حَصِيمًا ، وَبِجِبْرِيلَ ظَهِيرًا ، إِنِّي لِأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَاسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ ، وَاسْتَكْثِرُ تَوْبِيَّخَكَ ، لَكِنَّ الْعَيْوَنَ عَبْرِي ، وَالصُّدُورَ حَرَّى ، فَكِدْ كَيْدَكَ ، وَاسْعَ سَعْيَكَ ، وَنَاصِبْ جَهْدَكَ ، فَوَاللَّهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنَا ، وَلَا تُمْيِتْ وَحْيَنَا ، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدَ ، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدْ ، وَجَمِيعُكَ إِلَّا بَدَدْ ، يَوْمَ يَنَادِي

المُنادي : ألا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

بقي الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، وعمّته زينب (عليها السلام) ، وبافي السبايا ، فترةً في الشام ، ثم سَلَكُوا طريق العودة إلى المدينة ، واتَّخذَتْ رؤوسُ الشهداء طَرِيقَهَا إلى كربلاء ، لِتَرْقُدَ إِلَى جُوارِ الأَجْسَادِ .